حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

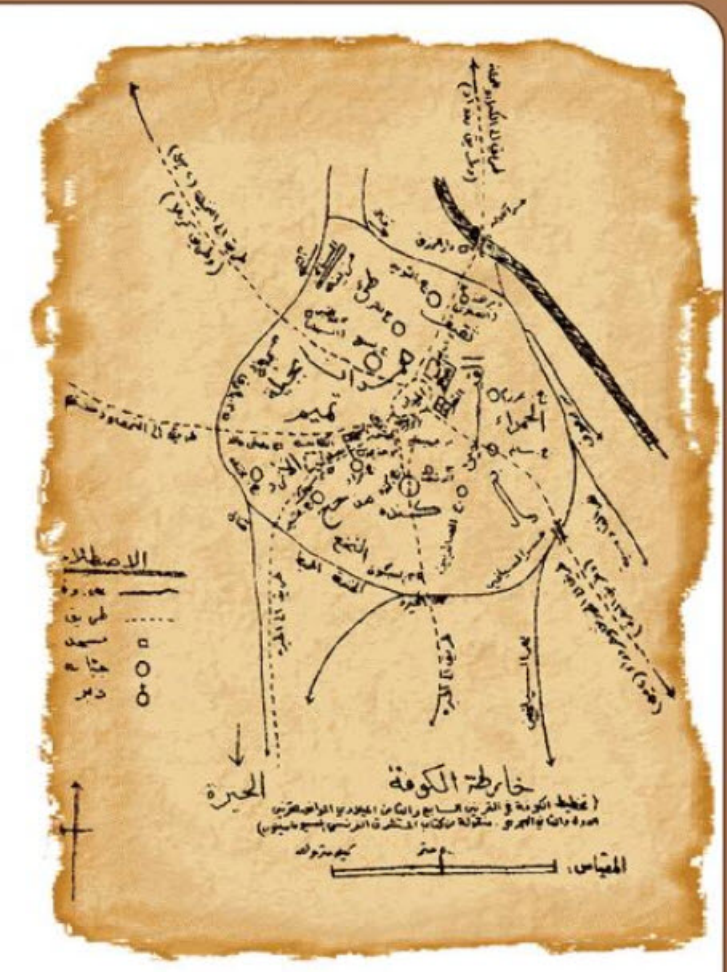

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

المؤلفات التاريخية عن الكوفة

(حتى أوائل القرن الخامس الهجري)

الأستاذ الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري

عميد كلية الآداب / جامعة المقادسية

الخلاصة:

أوضح البحث أهمية المتميزة لمدينة الكوفة منذ تأسيسها في أوائل القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وذلك من خلال المؤلفات العديدة ذات الصبغة التاريخية، التي توزعت على مؤلفات تتعلق بتاريخها والأحداث البارزة فيه، فضلاً عن كتب فتوح العراق والتي تعني: جبهة الكوفة.

انقسم المؤلفون الذي ألفوا تلك المؤلفات المتنوعة عن مدينة الكوفة إلى قسمين: الأول من أهل الكوفة أومن استقر فيها وصار كوفياً، والثاني من غير أهل الكوفة. ومن المؤسف حقاً أن معظم ما صُنف من مؤلفات عن مدينة الكوفة تعرّض للفقدان وامتدت إليه أيدي الضياع، ولم يبق منها إلا جزء يسير جداً، فضلاً عن الإشارات الدالة على تأليفها والاقتباسات القليلة جداً عنها في المصادر، في حين حظيت المدن الأخرى العربية والإسلامية بمؤلفات عديدة عنيت بتاريخها ومآثرها وتراجم رجالها، مثل مدن واسط وبغداد والموصل والقاهرة ودمشق.

وعلى الرغم من قلة المصادر الباقية من تاريخ وتراث مدينة الكوفة، إلا أن تلك المؤلفات التي لم يصلنا أغلبها، تدل دلالات واضحة على أهمية الكوفة، فهي ثاني مِصر أُسسَ خارج شبه الجزيرة العربية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب﵁ تم اتخاذه معسكراً للمقاتلين العرب، وأسهم إسهاماً فعالاً في حروب في القرن الأول الهجري/ السابع ميلادي، هو تأريخ البصرة والكوفة (العراقيين)، بسبب أدوارهما السياسية والعسكرية المهمة، فضلاً عن اقتسامهما الحركة الفكرية العربية.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة المؤلفات التاريخية العربية الإسلامية عن مدينة الكوفة التي ألفها العرب والمسلمون بصورة خاصة، على شكل رسائل وكُتيبات مستقلة عنها، وذلك من خلال ذكرها في المصادر العربية، وسنخصص بحثنا لدراسة المؤلفات التاريخية عن الكوفة التي تضمنت معلومات مهمة عن التاريخ الحضاري للكوفة، عنيت بالخطط والأمراء والولاة والقضاة وعمال الشرط، فضلاً عن كتب الفتوح، أما المؤلفات الخاصة بالفضائل والمحاسن والمفاخرات، خصوصاً بين البصرة والكوفة، فقد أفردنا لها دراسة خاصة.

سيكون منهجنا في هذا البحث دراسة المؤلفات العربية الإسلامية ذات الصبغة التاريخية عن الكوفة، من خلال دراسة مؤلفيها حسب التسلسل التاريخي، بإيضاح نشأتهم وحياتهم وظروف تأليفهم وخصائص كتابتهم التاريخية بشكل موجز ومركز، كما نشير إلى مصادر مؤلفاتهم، فضلاً عن المصادر التي اقتبست منها أو ذكرتها، وسنجد بين هؤلاء المؤلفين من هم من أهل الكوفة نفسها أو من استقر فيها فأصبح كوفياً، كما وُجد من بينهم من ألف عن الكوفة وهو من أهل الأمصار العربية والإسلامية الأخرى.

ومن المؤسف حقاً أن معظم المؤلفات العربية والإسلامية عن الكوفة مفقودة في الوقت الحاضر، وأن اليسير جداً منها مايزال مخطوطاً وغير منشور، وبذلك لم يبق لنا من تلك المؤلفات سوى عنواناتها وبعض الروايات المقتضبة جداً عنها، وهي روايات متناثرة في المصادر والمؤلفات التاريخية لاتُكوّن لنا صورة واضحة عنها، لأن كثيراً من تلك المؤلفات الخاصة عن مدينة الكوفة تعرضت للتلف والضياع.

١- الهيثم بن عدي:

هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن سيد بن ابر بن عدي بن خالد... بن ثعل بن عمرو بن الغوث، أبو عبد

الرحمن الثعلي[1]، وقيل: الطائي[2]، وقيل: الطائي الكوفي[3]، كان يُطعن في نسبه[4]، أبوه من واسط وأمه من سبي منبج[5]، والهيثم من أهل الكوفة بها وُلد ونشأ، كانت ولادته بالكوفة قبل عام ١٣٠هـ[6]، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها وحدّث بها، وكان عالماً بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب[7]، وُصف بأنه: (إخبارياً علاّمة راوية، نقل من أخبار العرب وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً)، وكان يُطعن عليه في الحديث، ووصف بأنه: (ليس بثقة وكان يكذب)[8].

توفي الهيثم بـ فم الصلح[9] عام ٢٠٦هـ والمرجح وفاته بـ فم الصلح في أول محرم عام ٢٠٧هـ[10]. وقائمة كتبه طويلة جداً تقرب من الخمسين ولعل بعضها رسائل صغيرة لكنها كثيرة التنوع، يهمنا منها مؤلفاته في تواريخ الأقاليم ومنها التي تتعلق بمدينة الكوفة، وهي:

كتاب خطط الكوفة.

كتاب ولاة الكوفة.

كتاب قضاة الكوفة والبصرة.[11]

أضاف ابن النديم[12] لمؤلفات الهيثم، كتاب: عمال الشرط لأمراء العراق[13]، ونرجح أنه احتوى معلومات عن عمال الشرط بمدينة الكوفة، فضلاً عن البصرة في الأعم الأغلب، وهذه المؤلفات ت دخل ضمن كتب التاريخ الحضاري الخاص بمدينة الكوفة.

ذكر الدكتور شاكر مصطفى[14] أنه لم يبق من هذه القائمة الطويلة إلى الآن، سوى بعض المقتبسات التي نجدها لدى ابن قتيبة في كتاب المعارف والبلاذري في أنساب الأشراف ولدى الطبري وفي مروج الذهب للمسعودي، وعلى الرغم من اتهام الهيثم بن عدي بقلة التدقيق وتساهله في الإسناد، لكن هذا لم يمنع كثيراً من المؤرخين من أن يأخذوا عنه كثيراً، فقد اعتمده الطبري خاصة فيما يتعلق بالأنبياء وبسيرة الرسول ﷺ والراشدين والأمويين وبعض أخبار الخلفاء العباسيين مثل المنصور والمهدي.

أشار الدكتور مصطفى إلى أن الهيثم تميز بمواصفات خاصة في فكره ومنهجه التاريخي، منها: أنه أول من كتب في الشؤون الحضارية والأثرية والنظم السياسية والقضائية في كتبه عن خطط الكوفة والبصرة وعن الولاة والقضاة والشرطة، وبذلك جمع معلومات طوبوغرافية وجغرافية وسكانية وإدارية وقضائية عن بعض الأمصار، تكشف عن مفهوم تاريخي متطور جداً وجدير بالتوقف عنده.

أفاد بعض المؤلفين من المؤرخين والجغرافيين من مؤلفات الهيثم بن عدي، مثل الطبري الذي استخرج من كتاب (ولاة الكوفة) بعض الحوادث كحادثة زيد بن علي، وأفاد ابن سعد من كتاب (قضاة الكوفة والبصرة) في تأليف كتابه: الطبقات، وتجدر الإشارة إلى أن ابن سعد نقل معلومات عن الكوفة عن شخص يدعى: الفضل بن دكين بن حماد أبو نعيم الملائي التيمي الكوفي الأحول (١٣٠-٢١٩هـ)، له كتاب: المناسبك وكتاب: المسائل في الفقه[15]، كما اقتبس البلاذري من مؤلفات الهيثم في كتابه: فتوح البلدان، خصوصاً في موضوع تمصير الكوفة، واعتمد البلاذري في نقل معلوماته عن الكوفة على شخص يُدعى: أبو مسعود القتات، وتجدر الإشارة إلى إفادة ياقوت الحموي من الهيثم بن عدي في معجمه (معجم البلدان) الذي جاء متأخراً، والذي وُصف بأنه ثمين

(١) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق. كتاب الفهرست للنديم، تحقيق: رضا تجدد، (طهران، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص١١٢، الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١٤، عني بتصحيحه السيد محمد صادق المعرفي، (بيروت، د.ت)، ص٥٠، مصطفى، د.شاكر. التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، منشورات دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٨م)، ص١٨٢.

(٢) الخطيب. تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥٠، ٥٤.

(٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، المسمى: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج١٩، دار المستشرق (بيروت، د.ت)، ص٣٠٤.

(٤) ابن النديم. الفهرست، ص١١٢.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٥١/١٤، وذكر الحموي أن أصله من منبج وأمه من سبي منبج، معجم الأدباء ٣٠٤/١٩.

(٦) الحموي. معجم ا لأدباء ٣٠٤/١٩، وروى الخطيب عن يحيى بن معين أن الهيثم بن عدي كوفي. تاريخ بغداد ٥٢/١٤.

(٧) ابن النديم. الفهرست ص١١٢، الخطيب. تاريخ بغداد ٥٣/١٤.

(٨) الخطيب. تاريخ بغداد ٥٢/١٤، الحموي. معجم الأدباء ٣٠٤/١٩.

(٩) فم الصلح: نهر كبير فوق واسط بينها وبينه جبل عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون ببوران. الحموي، ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان، مجلد ٤، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥م)، ص٢٧٦.

(١٠) عن الهيثم وحياته، راجع: ابن النديم. الفهرست ص١١٢، الخطيب. تاريخ بغداد ج١٤/ ٥٢-٥٤، الحموي. معجم الأدباء ج١٩/ ٣٠٤-٣٠٩، وذكر أنه بلغ ثلاث وتسعين عاماً، وهذا خطأ ووهم إذا رجعنا إلى تاريخ ولادته عام ١٣٠هـ والصواب أنه بلغ ثمان وسبعين عاماً في الأعم الأرجح.

(١١) عن تفاصيل مؤلفات الهيثم وأنواعها، راجع: ابن النديم. الفهرست ص١١٢، الحموي. معجم الأدباء ج١٩/ ٣١٠، روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين ترجمة: الدكتور صالح أحمد العلي، (بغداد ١٩٦٣م)، ص٢٩١.

(١٢) الفهرست ص١١٢.

(١٣) سماه حاجي خليفة: تاريخ عمال الشرط لأمراء العراق. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلد١، طبعة أوفسيت، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، ص٢٩٨. وذكر تواريه مدن العراق ومنها: الكوفة والبصرة والانبار وتكريت وبغداد وسامراء وغيرها دون تسمية مؤلفيها.

(١٤) التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٨٥.

(١٥) العبيدي، محمود عبد الله إبراهيم. عمر بن شبة ومكانته في كتابة التاريخ العربي الإسلامي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص٢١٣-٢١٤.

جداً، والمرجح أن ياقوت أخذ باختصار معلومات من كتاب الهيثم: (خطط الكوفة)، هذا كله فضلاً عن الصحائف الثلاث لليعقوبي التي تتعلق باختطاط الكوفة، وهي قائمة تخص تخطيط منازل الصحابة وكثير من القبائل مع أسماء المقابر، وكل هذه الاقتباسات تدلل على أهمية الهيثم بن عدي ومؤلفاته عن الكوفة[١]، والمرجح أنها مؤلفات مفقودة في الوقت الحاضر مع الأسف.

٢- الواقدي:

أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، مولى الأسلميين من سهم بن أسلم، كان من أهل المدينة انتقل إلى بغداد وتولى القضاء بها للخليفة هارون الرشيد، وُصف بأنه: عالم بالمغازي والسّير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والأخبار، والطريف أنه كان مُعاصراً للهيثم بن عدي مشابهاً له في مولده ووفاته، فقد ذكر محمد بن سعد كاتبه -نقلاً عنه- أنه ولد عام ١٣٠هـ وتوفي عشية يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة عام ٢٠٧هـ عن عمر يناهز ثمان وسبعين عاماً، ودفن في مقابر الخيزران ببغداد، وصلّى عليه محمد بن سماعة. وصنّف كتباً، منها: كتاب التاريخ والمغازي والبعث، وكتاب أخبار مكة، وكتاب الطبقات، وكتاب فتوح الشام وكتاب فتوح العراق.[٢]

ويهمنا من مؤلفات الواقدي كتابه الأخير، أي: كتاب فتوح العراق، والذي نميل إلى أنه احتوى حتماً على معلومات مهمة حول دور جبهتي البصرة والكوفة في فتوح المشرق، إذ أن كتاب فتوح العراق يعني عناية خاصة بالجبهة العسكرية التي كانت خاضعة للكوفة[٣]، وإبراز دورها في حركات التحرير العربية بصورة خاصة، وكتب الواقدي المتخصصة في فتوح الشام والعراق تشابه كتب المدائني -كما سنوضح- في عناوينها.

ذكر ابن النديم[٤] والحموي[٥] من مؤلفات الواقدي كتاب: الاختلاف بين أهل المدينة والكوفة ونرجح أنه كتاب يوضح الاختلاف بينهما في عدة جوانب، لعل أبرزها: المعاملات الفقهية والشرعية حول المعاملات والمسائل ذات المساس بالحياة الاقتصادية بشكل خاص، ومنها: معاملات البيع والشراء والأوزان والمقاييس. ولاشك أن هذا الكتاب يوضح بجلاء اتجاه مدينة الكوفة في المسائل الدينية والفقهية من خلال آراء واجتهادات الفقهاء والعلماء ونظرتهم إلى شؤون الحياة المختلفة فيها، والتي تمثل جزءاً مهماً من تطورها التاريخي. وذكر ابن النديم أيضاً أن محمد بن سعد (كاتب الواقدي) ألف: طبقات أهل الكوفة، وهو على الأرجح جزء من كتابه الشهير المعروف بـ: طبقات ابن سعد، أو: الطبقات الكبرى، الذي خصص جزء منه لطبقات أهل الكوفة، فضلاً عن أقاليم الدولة العربية الإسلامية الأخرى.

٣- المدائني:

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، مولده عام ١٣٥هـ وهو بصري، مولده ونشأته في البصرة، ثم انتقل إلى المدائن وتحول إلى بغداد، ولم يزل بها حتى وفاته. كان على اتصال مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي منقطعاً إليه لا يفارق منزله، وفي منزله كانت وفاته عام ٢١٥هـ وقيل توفي عام ٢٢٥هـ وله ثلاث وتسعون عاماً، وكان ثقة إذا حدّثَ عن الثقات[٦]. ولا يمكننا قبول تقدير عمره عند وفاته بثلاث وتسعين عاماً مطلقاً إذا رجعنا إلى تاريخ ولادته، إذ يكون تقدير عمره عند وفاته عام ٢١٥هـ بحدود ثمانين عاماً، وتقديره عند وفاته عام ٢٢٥هـ بحدود تسعين عاماً.

وقائمة كتبه طويلة جداً توزعت على أقسام عديدة، أما بخصوص كتبه في الفتوح، فأبرزها: كتاب فتوح العراق -وهو مشابه تماماً لكتاب الواقدي -سالف الذكر- من حيث التسمية، ويعني الجبهة العسكرية التي كانت خاضعة للكوفة، ومن كتبه الكثيرة عن الفتوح: كتاب خبر البصرة وفتوحها، كتاب فتوح الحيرة، فضلاً عن كتب أخرى كثيرة في الفتوح، وتتصف كتبه في هذا المحور بالشمولية، فلم تتحدد كتاباته التاريخية على منطقة جغرافية دون أخرى.[٧]

وتجدر الإشارة إلى أن المدائني ألف عدداً من الكتب عن القضاة، منها: كتاب أهل المدينة، كتاب قضاة أهل البصرة[٨]، في حين لم نجد -مع الأسف- كتاباً له مستقلاً عن قضاة أهل الكوفة، ولا نعلم ما هو تبرير عدم تأليفه هذا الكتاب أسوة بالبصرة ضمن العراق، اللهم إلاّ إذا كان الأمر يرتبط بتبعية الكوفة إدارياً ودمجها مع البصرة ضمن مؤسساتها ومنها القضاء، وبذلك ضم كتاب قضاة أهل البصرة معلومات عن قضاة أهل الكوفة أي دمجهما معاً، وقد أشرنا عند دراستنا مؤلفات الهيثم بن عدي إلى كتاب قضاة الكوفة والبصرة، أي أن كتابه تضمّن معلومات حول قضاة

(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٣٦-١٣٧ وهوامشهما.
(٢) ابن النديم. الفهرست ص١١١، الحموي. معجم الأدباء ج١٨/ ٢٨١-٢٨٢.
(٣) ناجي، د. عبد الجبار. إسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية، منشورات دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٩٠م)، ص١١١.
(٤) الفهرست ص١١١.
(٥) معجم الأدباء ج١٨/ ٢٨١-٢٨٢.
(٦) ابن النديم. الفهرست ص١١٣، الحموي. معجم الأدباء ج١٤/ ١٢٤-١٢٦.
(٧) راجع: ابن النديم. الفهرست ص١١٣-١١٧، الحموي. معجم الأدباء ج١٤/١٢٩-١٣٩، مصطفى. التاريخ العربي ج١/ ١٨٥-١٨٨، ناجي. إسهامات ص ٨٣-٨٥، ١١٠- ١١٤.
(٨) ابن النديم، الفهرست ص١١٧، الحموي. معجم الأدباء ج١٤/١٣٨، مصطفى. التاريخ العربي ج١/ ١٨٧-١٨٨.

المدينتين معاً. فلا نستبعد أن المدائني ضمّن كتابهُ عن قضاة أهل البصرة معلومات عن قضاة الكوفة.

٤- أبو بكار الضبي:

أبو الوليد العباس بن بَكّار الضبي، وهو بصري المولد والإقامة والوفاة. وُلد عام ١٢٩هـ وتوفي عام ٢٢٢هـ كانت له مشاركة في العمل الإخباري الذي بقي لنا منه، والمعنون بـ (أخبار الوافدين من أهل الكوفة والبصرة على معاوية بن أبي سفيان وأخبار الوافدات أيضاً)، وهما رسالتان مخطوطتان الآن في الاسكوريال بإسبانيا (رقم: ٥/٤٦٧، و: ٦/٤٦٧)، في ١٢ ورقة[١].

٥- ابن شبة النميري:

أبو زيد عمر بن شبة (اسمه زيد وشبة لقبه) بن عبيد بن زيد بن ربطة (وقيل رابطة) النميري البصري، مولى قبيلة بني نمير بن عامر بن صعصعة، ولد عمر في البصرة عام ١٧٣هـ وانتقل عنها وتوفي بسامراء عام ٢٦٢هـ كان صاحب أخبار ونوادر ورواية واطلاع كبير، راوية للأخبار عالماً بالآثار أديباً فقيهاً صدوقاً، وُصف بصدق اللهجة، وكان صاحب تصانيف عديدة تزيد على ٢٢، معظمها تاريخي.

ألف ابن شبة عدة تصانيف يغلب على أكثرها -كما ذكرنا- طابع الكتابة التاريخية عن المدن والأمصار، منها: كتاب الكوفة[٢]، كتاب البصرة، كتاب المدينة، كتاب مكة[٣]، ونرجح أنها كتب كبيرة عن تلك المدن الأربع المعروفة، وهي مخصصة للكتابة عن تواريخها بشكل مفصل، وتناولت طوبرافيتها ومعلومات تاريخية مهمة عنها.

ويهمنا من مصنفات ابن شبة هذه كتاب الكوفة الذي يمكننا أن نسميه: تاريخ الكوفة، بدليل ما ذكره السخاوي[٤] عندما وصف ابن شبّة بأنه أحد الحُفّاظ الإخباريين وصاحب التصانيف، له تاريخ للبصرة[٥] وآخر للكوفة وآخر لمكة وآخر للمدينة، ولم يكتف مترجموه[٦] بذكر كتبه الأربعة هذه عن المدن المذكورة آنفاً، بل ذكروا له كتباً أخرى حولها، مخصصة لأمرائها، وهي: كتاب أمراء الكوفة[٧]، كتاب أمراء البصرة، كتاب أمراء المدينة (لهله ما نعرفه بـ تاريخ المدينة)، كتاب أمراء مكة.

والكتب الأربعة الأخيرة مخصصة لأمراء الكوفة والبصرة والمدينة ومكة، وهي تتناول جزءاً من تاريخها الحضاري المخصص لأمرائها، أي عن التاريخ السياسي والإداري لتلك المدن الأربع المشهورة والمهمة في الدولة العربية الإسلامية، وليست لدينا معلومات عن أمراء الكوفة الوارد ذكرهم في كتاب ابن شبة عنها.

ونعود إلى ذكر الكتب الأربعة الأولى، وهي تواريخ البصرة والكوفة والمدينة ومكة، إذ يشير ابن حوقل[٨] إلى أن كتاب البصرة هو أقدم مؤلفات ابن شبة، بقوله: (وللبصرة كتاب يُعرف بكتاب البصرة ألفه عمر بن شبة قبل كتاب الكوفة ومكة، يُغني عن ذكر شيء من أوصافها، وهذه الكتب موجودة في جميع الأماكن).

أوضح ابن حوقل في هذا النص عدة أمور، أبرزها: أن كتاب البصرة ألفه عمر بن شبة قبل كتاب الكوفة ومكة، ولعل سبب ذلك يرجع إلى عاملين، أولهما: قِدَم البصرة على الكوفة من حيث التأسيس والتمصير، وثانيهما: لأن ابن شبة بصري الأصل، ولد في البصرة، فألف كتاب البصرة أولاً اعتزازاً بمدينته وتقديراً لمكانتها، ونلاحظ أن نص ابن حوقل أسقط ذكر كتاب المدينة، في

(١) مصطفى. التاريخ العربي والمؤرخون ج ٢٠٥/١.
اطلعت أخيراً على بحث منشور في مجلة (سبأ) العدد (١٠-١١) ٢٠٠٢م، ص٦٧، وفي قائمة مصادره كتاب:
(أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان)، تحقيق: سكينة الشهابي، منشورات مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٩٨٣م).

(٢) راجع عن كتاب الكوفة: العبيدي. عمر بن شبة ص٢٤-٢٥.

(٣) ابن النديم. الفهرست ص١٢٥، الخطيب. تاريخ بغداد ج٢٠٨/١١-٢١١، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥ قسم٢، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الركن، ١٣٥٧هـ)، ص٤١، الحموي. معجم الأدباء ج٦٠/١٦-٦١، معجم البلدان مج ٤٤٠/١، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مجلد ٧، دار صادر ودار بيروت، (بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ص٣٠٦، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مجلد٣، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ص٤٤٠، ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص١٦٤، مصطفى. التاريخ العربي ج١٨٩/١، شلتوت، فهيم محمد، تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة. دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية)، ج٢، مطبوعات جامعة الرياض، (الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٤-٥، ناجي. إسهامات ص٩٠-٩١، ٢٧٧-٢٧٨، العبيدي. عمر بن شبة ص١٨-٢٣.

(٤) محمد بن عبد الرحمن. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشره: فرانز روزنثال، (مطبوع بعد كتاب: علم التاريخ عند المسلمين)، (بغداد، ١٩٦٣)، ص٦٩٢. وورد (ص٦٣٩): تاريخ الكوفة لعمر بن شبة.

(٥) ذكر ابن خلكان أنه صنف تاريخ البصرة، ولم يذكر بقية مؤلفاته. وفيات الأعيان مج ٤٤٠/٣، وقيل أنه صنف كتاباً عن فضائل البصرة في عدة مجلدات. الحموي. معجم البلدان ٤٤٠/١، حاجي خليفة. كشف الظنون مجلد ١٢٧٤/٢، ناجي. إسهامات ص٢٧٩، راجع عن كتاب البصرة لابن شبة: السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص٦٢١.

(٦) ابن النديم. الفهرست ص١٢٥، الحموي. معجم الأدباء ج١٦/ ٦١، مصطفى. التاريخ العربي ١٨٩/١، شلتوت. تاريخ المدينة المنورة ص٥، العبيدي. عمر بن شبة ص٢٤ فما بعد، ناجي. إسهامات ص٢٧٨.

(٧) راجع عن كتاب أمراء الكوفة: العبيدي. عمر بن شبة ص٢٥-٢٦.

(٨) أبو القاسم محمد بن علي النصيبيني. صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص٢١٤، راجع أيضاً: ناجي. إسهامات ص٢٧٨-٢٧٩.

حين كانت إشارته واضحة جداً حول وجود تلك الكتب في جميع الأماكن في عصره، أي أنها معروفة ومتداولة خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ونرجح أن كتاب المدينة سقط ذكره سهواً من النص، ومن المؤسف جداً أن كتب ابن شبة المشار إليها في نص ابن حوقل أعلاه مفقودة الآن وغير معروفة امتدت إليها أيدي الضياع، وبذلك افتقدنا الكثير من المعلومات التاريخية المهمة التي احتوتها حول مدن البصرة والكوفة ومكة، باستثناء كتاب أخبار المدينة المنورة وهو عن (تاريخ المدينة المنورة) الذي حقق ونشر وخرج إلى النور[١]، على الرغم من سقوط ذكره في نص ابن حوقل أعلاه.

٦- ابن النجار التميمي الكوفي:

أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فروة بن ناجية بن مالك التميمي النحوي المعروف بـ ابن النجار، من أهل الكوفة، وُلد في الكوفة عام ٣٠٣هـ وحدد الخطيب البغدادي[٢] ولادته لست عشرة ليلة مضت من المحرم عام ٣٠٣هـ قَدِم ابن النجار إلى بغداد وحدّث بها عن جماعة من المُحدّثين القدماء، ووصف بأنه كان ثقة. توفي بالكوفة في شهر جمادى الأولى عام ٤٠٢هـ[٣].

ألف ابن النجار عدة كتب، منها كتاب القراءات، فعُرف بـ المقرئ[٤]، ومن مؤلفاته المتعلقة بمدينة الكوفة، كتاب تاريخ الكوفة[٥]، ويسمى أيضاً: كتاب الكوفة.[٦] ألفه خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في الأعم الأرجح، وهو من كتب التواريخ المحلية الخاصة عن مدينة الكوفة، ولعل تسميته على غرار كتاب عمر بن شبة المسمى: كتاب الكوفة.

ويشكو البروفسور روزنثال[٧] من النقص الشديد في المعلومات عن التواريخ المحلية القديمة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وهذا الأمر ينطبق على عدة كتب، منها: كتاب محمد بن جعفر التميمي عن الكوفة، ولعله يقصد كتاب: تاريخ الكوفة للتميمي، وكان سبب عدم معرفة هذا الكتاب في نهاية ذلك القرن - كما ذكر روزنثال- يعود إلى أن ابن النجار توفي عام ٤٠٢هـ أي في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لذلك فإن كتابهُ لايمكن أن ينتشر ويكون معروفاً تُدوّن عنه المعلومات إلاّ بعد وفاته بمدة مناسبة، وهذا ما يجعلنا نرجح أن كتابه كان معروفاً في القرن الخامس الهجري. بدليل ما دوّنه عنه الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي المتوفى عام ٤١٨هـ أي بُعيد وفاة ابن النجار الكوفي، في أحد مؤلفاته الوزير المغربي التي نقل عنها الحموي[٨]، إذ يقول ما نصه: (ونقلتُ من زيادات الوزير المغربي في فهرست ابن النديم... وكنا سمعنا منه: كتاب القراءات وكتاب مختصر في النحو، وكتاب المُلح والنوادر، وكتاب التُحف والطُرَف، وكتاب المُلح والمسار، وكتاب روضة الأخبار ونزهة الأبصار، وكتاب تاريخ الكوفة رأيتُه).

يتضح لنا من هذا النص المهم أن الوزير المغربي سمع من ابن النجار التميمي الكوفي عدة كتب ألفها، وذكر الوزير أسماء تلك المؤلفات في كتابه (زيادات فهرست ابن النديم)، ونقل الحموي نص الوزير المغربي هذا، والمهم جداً فيه أن الوزير المغربي رأى كتابه تاريخ الكوفة لابن النجار، وذكر الحموي هذا النص نقلاً عن تاريخ ابن الجوزي، والمرجح أنه كتاب المنتظم، وهذا الأخير نقله بدوره عن كتاب تاريخ بغداد الخطيب البغدادي، وهذا بدوره نقله عن كتاب زيادات فهرست ابن النديم للوزير المغربي، ونستدل مما ذكره الوزير المغربي حول كتاب تراريخ الكوفة لابن النجار التميمي الكوفي ورؤيته له، مايؤكد أن هذا الكتاب كان معروفاً ومتداولاً في الربع الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لأن الوزير المغربي توفي عام ٤١٨هـ وكان معاصراً لابن النجار الكوفي التميمي.

واقتبس الحموي[٩] أيضاً نصاً آخر عن كتاب الكوفة (كما ورد أصلاً وليس: تاريخ الكوفة) لابن النجار التميمي الكوفي، إذ

---

(١) كتاب ابن شبة عن تاريخ المدينة المنورة عنوانه: (أخبار المدينة المنورة)، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، حققه الأستاذ فهيم محمد شلتوت، في أربعة أجزاء، منشورات دار الأصفهاني للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، (جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، في (١٣١٥) صفحة ما عدا الفهارس.
حُقّق الكتاب مرة ثانية تحت عنوان: كتاب تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، ج١-٢، علق عليه وخرّج أحاديث: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بنيان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

(٢) تاريخ بغداد ج٢/ ١٥٩، وذكر ابن العماد ولادته في المحرم عام ٣٠٣هـ شذرات الذهب ١٦٤/٣.
وروى الحموي أنه ولد عام ٣٣١هـ معجم الأدباء ج١٠٤/١٨، ونعتقد أن ذلك خطأ، وربما تصحيف إذ لم يرد في مصدر آخر.

(٣) عن ترجمة ابن النجار، راجع: الخطيب. تاريخ بغداد ج١٥٩/٢، ابن الجوزي. المنتظم ج٧/ ٢٦٠، الحموي. معجم الأدباء ١٨/ ١٠٣-١٠٤، ابن العماد. شذرات الذهب ١٦٤/٣، حاجي خليفة، كشف الظنون مج ٣٠٢/١، مصطفى. التاريخ العربي ١٨/٢.

(٤) الخطيب. تاريخ بغداد ج٢/ ١٥٩، ابن العماد، شذرات الذهب ١٦٤/٣.

(٥) الحموي. معجم الأدباء ج١٨/ ١٠٤، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، ج٦، باعتناء: س. ديدرينغ، الطبعة الثانية، دار النشر فرانز شتاينر، (فيسبادان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٣٠٩، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص٦٣٩، حاجي خليفة، كشف الظنون مج ٣٠٢/١، مصطفى التاريخ العربي ١٨/٢.

(٦) الحموي. معجم البلدان مج ٥/ ١٩٢، روزنثال، علم التاريخ ص٢٣١.

(٧) علم التاريخ ص٢٣٠-٢٣١.

(٨) معجم الأدباء ج١٨/ ١٠٣-١٠٤، راجع أيضاً: روزنثال. الإعلان بالتوبيخ للسخاوي ص٦٣٩ هامش.

(٩) معجم البلدان مج ١٩٢/٥، مادة: (ملطاط)، وأنشد شعراً لعدي بن زيد:
هيج الداء في فؤادك حُورٌ ناعمات بجانب الملطاط

يقول: (وقال ابن النجار في كتاب الكوفة: وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه الملطاط). وهذا النص يورد تسمية أخرى مغايرة لكتاب ابن النجار الذي سمي أولاً: تاريخ الكوفة، وهنا سمي: كتاب الكوفة، والمرجح أن الكتاب واحد اختلفت تسميته، ويوضح لنا النص الوارد فيه إشارة إلى جزء مهم من خطط مدينة الكوفة وجغرافيتها، مما يعطينا تصوراً عن بعض محتويات هذا الكتاب الذي أشار إلى خطط الكوفة ومعالمها الجغرافية وأبرز أقسامها، ومنها: اللسان والملطاط

وممن اقتبس من كتاب تاريخ الكوفة لابن النجار التميمي الكوفي، المؤرخ الصفدي[1]، في ترجمة أحمد بن الحسن بن إسماعيل أبو عبدالله السكوني الكندي النسّابة، الذي كان على علاقة مع الخليفة العباسي المكتفي ثم مع المقتدر، إذ يقول عنه: (ذكره أبو الحسن محمد بن جعفر ابن النجار الكوفي في تاريخ الكوفة).

وهكذا يتضح لنا أن كلاً من ياقوت الحموي والصلاح الصفدي اقتبسا من كتاب تاريخ الكوفة أو: كتاب الكوفة لابن النجار التميمي الكوفي[2]، ونستنتج مما اقتبساه أن كتاب تاريخ الكوفة كان معروفاً ومتداولاً خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، كما كان معروفاً -كما ذكرنا- في الربع الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بدليل ماذكر الوزير المغربي عنه في كتابه (زيادات فهرست ابن النديم) أنه رآه، ونقل عنه هذا النص كلاً من الخطيب البغدادي وابن الجوزي في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وبمعنى أخر أن كتاب تاريخ الكوفة أو كتاب الكوفة لابن النجار التميمي الكوفي، كان معروفاً ومتداولاً نقل عنه المؤرخون خلال مدة طويلة امتدت بين القرنين الخامس والثامن الهجريين، ومن المؤسف جداً أن هذا الكتاب مفقود -حسب علمنا- في الوقت الحاضر، وليس لدينا ما يشير إلى وجوده مخطوطاً في إحدى المكتبات المنتشرة في العالم والمهتمة بحفظ التراث العربي الإسلامي.

نستنتج من خلال الاقتباسات التي نقلناها عن الحموي والصفدي أن تاريخ الكوفة لابن النجار التميمي هو أحد التواريخ المحلية لمدينة الكوفة، احتوى معلومات مهمة تتوزع على خطط المدينة ومحلاتها وأعمالها، وهي معلومات ذات صفة طوبوغرافية وجغرافية ذكرت اللسان والملطاط فضلاً عن معلومات تتعلق بتراجم عن أهلها ومن وردها من العلماء والأدباء والمؤرخين والنسّابة وغيرهم.

(١) الوافي بالوفيات ج٦/ ٣٠٩، ويبدو أن عبارة (في تاريخ الكوفة) قد أضفت والإضافة من معجم الذي نرجح أنه معجم الأدباء للحموي. راجع: المصدر نفسه ج٦/ ٣٠٩ هامش.

(٢) أشار الدكتور شاكر مصطفى إلى اقتباس الحموي والصفدي من كتاب تاريخ الكوفة لابن لنجار. التاريخ العربي ٢/ ١٨.

ويبدو أن لانتقال ابن النجار إلى بغداد أثره الواضح في نقل الخطيب البغدادي معلومات عنه حول معظم القضاة في كتابه: تاريخ بغداد، وتجدر الإشارة إلى بيان الوَهم والخلط الذي وقع فيه الدكتور شاكر مصطفى[3] بين ابن النجار التميمي الكوفي المتوفى عام ٤٠٢هـ الذي اقتبس الحموي من كتابه تاريخ الكوفة، أو: (كتاب الكوفة - كما ذكرنا)، وبين ابن النجار الحافظ محب الدين محمد بن محمود بن محاسن البغدادي، المتوفى عام ٦٤٣هـ إذ نسب إلى الأخير تأليفه كتاب: تاريخ الكوفة، الذي ذكره الحموي، وأنه ضاع ضمن تراث ابن النجار الضائع، وكان من المؤلفات الضخمة، لكننا لم نجد في الكتب والمؤلفات المخصصة للفهارس والدراسات المتعلقة بالمؤلفات والمؤلفين -قدر اطلاعنا- ذكراً لكتاب تاريخ الكوفة من تأليف ابن النجار الحافظ البغدادي، كما لم نجد ذلك في موارد ترجمته[4]، مما استوجب التنبيه على هذا الخلط والوَهَم، وندعم رأينا للرد على ما ذكره الدكتور مصطفى عن عدم دقة اقتباس ياقوت الحموي عن ابن النجار الحافظ البغدادي، أن ياقوت توفي عام ٦٢٦هـ في حين أن ابن النجار البغدادي توفي عام ٦٤٣هـ والمفروض أن الأخير ينقل عن الحموي الذي تقدم عليه وسبقه في وفاته وليس العكس، في الأعم الأرجح.

لقد ذكرنا أن ياقوت الحموي اقتبس في كتابيه: معجم الأدباء ومعجم البلدان من ابن النجار في كتابيه: تاريخ الكوفة وكتاب الكوفة، ولعل الإشارة إلى الكتاب الأخير لابن النجار أوحت إلى الدكتور مصطفى أنه من تأليف ابن النجار البغدادي المؤرخ المشهور صاحب كتاب: (التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها من الأعلام ومن وردها من علماء الأنام)، وله أيضاً كتاب: (الدرة الثمينة في تاريخ المدينة)، وغيرهما من المؤلفات المعروفة، لكننا لم نجد ضمن تراثه التاريخي كتاباً له عن تاريخ الكوفة، كما أن الدكتور مصطفى لم يحدد لنا المواضع في كتابي الحموي التي نقل منهما عن كتاب تاريخ الكوفة المزعوم لابن النجار الحافظ البغدادي المتوفى عام ٦٤٣هـ لكي نرجع إليها في مؤلفات ياقوت الحموي ونحدد في ضوئها نسبة كتاب الكوفة ومؤلفه الصحيح.

(٣) التاريخ العربي ج٢/ ١٨، ١١٧.

(٤) راجع مثلاً: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، ج٣، حققه وضبطه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص ٢٤٨- ٢٤٩، السخاوي. الإعلان بالتوبيخ ص٦٢٢، ابن العماد. شذرات الذهب ج٥/ ٢٢٦- ٢٢٧، كما لم يشر روزنثال في كتابه: (علم التاريخ عند المسلمين) إلى تأليف ابن النجار الحافظ البغدادي كتاب تاريخ الكوفة، راجع أيضاً: محمد مولود خلف (الحقق). المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار الحافظ البغدادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص٢١- ٢٥ (المقدمة عن مؤلفاته وعددها: ٢٩، وليس فيها تاريخ الكوفة).

٧- ابن مجالد:

وهو مؤلف مجهول لا يُفصح المؤلفون[١] عن شخصيته، فلم يذكروا لنا اسمه ولا نسبه ولا تاريخي ولادته ووفاته، بل ذكروه بهذا الاسم المجرد فقط (ابن مجالد)، وقرنوه بكتاب له بعنوان: تاريخ الكوفة.

ولا ندري فيما إذا كان لهذا الرجل علاقة بالمُحدّث أبي عمير مُجالد بن سعيد بن عُمير الهمداني الكوفي، روى عنه الهيثم بن عدي كثيراً[٢]، ومُجالد هذا راوية للأخبار، سمع الحديث، وُصف بأنه: كان ضعيفاً عند المُحدّثين، توفي عام ١٤٤هـ[٣]. وربما كان المؤلف ابن مجالد من أسرة أبي عمير مجالد الكوفي، وهو مجرد رأي مُحتمل فقط أما كتابه: (تاريخ الكوفة)، فليست لدينا عنه معلومات سوى عنوانه، والمرجح أنه مفقود في الوقت الحاضر، إذ لم نجد إشارة عنه حول اقتباس المصادر منه، وليست هنالك إشارة أيضاً أو معلومات عنه في المؤلفات الخاصة بالمخطوطات المنتشرة في العالم، إن كان هذا الكتاب مخطوطاً ضمن تراث مدينة الكوفة العربي الإسلامي.

المؤلفون ومؤلفاتهم التاريخية عن الكوفة

ت	اسم المؤلف	تاريخ وفاته	اسم مؤلفه أو: مؤلفاته
١	الهيثم بن عدي الطائي الكوفي	٢٠٦هـ وقيل: ٢٠٧هـ	١- كتاب خطط الكوفة. ٢- كتاب ولاة الكوفة. ٣- كتاب خطط الكوفة والبصرة. ٤- كتاب عمال الشرط لأمراء العراق. ويسمى: تاريخ عمال الشرط لأمراء العراق.
٢	الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر. (من أهل المدينة)	٢٠٧هـ	١- كتاب فتوح العراق، أي: جبهة الكوفة. ٢- كتاب الاختلاف بين أهل المدينة والكوفة.
٣	المدائني، أبو الحسن علي محمد. (بصري)	٢١٥هـ	كتاب فتوح العراق، أي: جبهة الكوفة.
٤	ابن بكّار الضَبي، أبو الوليد العباس (البصري).	٢٢٢هـ	أخبار الوافدين من الرجال من أهل الكوفة والبصرة على معاوية بن أبي سفيان، وأخبار الوافدات أيضاً.
٥	محمد بن سعد بن منيع/ كاتب الواقدي (بصري).	٢٣٠هـ	طبقات أهل الكوفة.
٦	عمر بن شبة النميري (بصري).	٢٦٢هـ	١- تاريخ الكوفة، ويسمى: كتاب الكوفة. ٢- كتاب أمراء الكوفة.
٨	ابن مجالد؟ (كوفي).	؟	تاريخ الكوفة.

* * *

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، باعتناء: هلموت ريتر، ص٤٧، السخاوي. الإعلان بالتوبيخ ص٦٣٩، حاجي خليفة. كشف الظنون مج ١/ ٣٠٢، مصطفى. التاريخ العربي ج٢/ ١٧.

(٢) ابن النديم. الفهرست ص١٠٣، الخطيب. تاريخ بغداد ج١٤/ ٥٠، الحموي، معجم الأدباء ج١٩/ ٣٠٤.

(٣) ابن النديم. الفهرست ص١٠٣، الذهبي. العبر ج١/ ص١٥٢، ابن العماد، شذرات الذهب ج١/ ٢١٦.